رجال على الطريق

الرجل الرابع *

كان اليف الوجه والمشية والسلام
ينام صاحيا .. ويصحو عندما ينام
مغترب الباطن منهك القوى
مقيد اليدين ... مطلق الزمام
يحلو له الاصغاء
يضحك وهو يبكى
يشد قامته ... ،
حتى يراه الناس معتد الخطى
مجردا من اللثام ...
وكان هذا الرجل الرابع بيننا . ،
مقطبا ... وضاحكا
وكان نجما مبعدا ... وقمرا مقتربا
يلقاك دائما اذا نظرت للسماء
وعانقت عيناك ذلك المجهول
اليك يا مزين الجبين بالحصى
والشوك ... والسعف
يا فرح العينين
ويا حزين النظرات
اليك حبنا .. سلامنا .. انتظارنا .. ،
منزلنـا الخاوي
لعلنا .. اذا اقمت فيه .. يمتلىء .. ،
وتصدق الاحلام .

الرجل الخامس

كان يرى في وجهها ايامه التي مضت
حلم شبابه وفجره المضىء
مغامراته وسقطته ...
كان يرى في حيرة العينين وانكسارة الجفون
... جرمه الذي لم يؤخذ به
ولم يسائله عن ارتكابه احد !.
وظل هذا الرجل الخامس في خشيته
وفي تجاهله !.
ينشد بيتا .. ومكانا آمنا
يؤمه النور اذا جاء النهار
ويلاقيه الارق القاتل في الظلام . ،
وذات ليلة .. اتاه في المنام صوتها
يقطر بالدماء
مسربلا بالدمع والعتاب
فهب مذعورا .. وجاءني .. ،
« يا ايها الصديق .. اينا الذي قتل ؟ »
وقبل ان اجيب صاحبي ..
رايت سكينا مخيفا .. في يدي .. ،
ما زالت الدماء فيه .. لم تجف !!

الرجل السادس

كان أزيز الطائرات يزكم الانوف
ولم يكن سواك يملك السمع .. ،
ويخطف البصر
وكنت تائها ... ظللت تائها ...
حتى أتاني صوتك الخفيض في عرض السماء
« من ها هنا ..
من ذلك الطريق ..
نحو جنوب الشرق »
وها انا ... ولم أجدك حيثما واعدتني !.
صحوت تائها .. ونمت تائها ..
حتى أتاني .. صوتك العالي .. ،
وافيت موعدي
وعندما رايت نفسي مفردا .. ،
عرفت انني فقدت قدرتي على السماع
وقدرتي على البصر !!

الرجل السابع

جاء يزورني ...
في منزلي الآمن .. في احدى قرى مصر
كان حزينا مرهقا
وكان شابا يافعا .. ، لكنه .. ،
يبدو كشيخ في الثمانين
يكتب من حين لآخر قصيده .. ،
وكان مكروها من الذين يرفضون ما يريد
مرت شهور بيننا دون لقاء .. ،
حتى عرفت انه استشهد في القدس
قالت لنا عيناه في لقائنا الاخير :
اطفالنا حين يجيئون
يأتون للعالم من غير عيون
عيونهم ديارنا السليبة
عيونهم ايامنا الغريبة
يا حزن .. يا علامة على وجوهنا يا حزن ... ،
.. يا كتابنا الذي يدور في موانىء البحار
يطرده الذين يجهلوننا
ويستضيفه الذين يعرفون اننا .. ،
نواصل الليل بساعات النهار
يا حزن يا سلاحنا الذي يضىء ..
ويا طريقنا الى الفرح ..
حين تكون قوة السواعد الحزينة
وسيلة تحطم الجدار
وموكبا للنصر في شوارع القدس القديمة

القاهرة — **بدر توفيق**

* الرجل الاول والثاني والثالث نشر في عدد اكتوبر ١٩٦٨ بمجلة « الاداب »